أزيـــــاء ونـســـاء وهـلـم جـرا

ميسلون هادي

هل يجوز لنا نحن الشعب المغلوب على أمره، أن نفرض زياً موحداً على نائباتنا من البرلمانيات، أو نتدخل بملابس الوزيرات التي هي حق مطلق من حقوقهن، أو نفرض أذواقنا وأفكارنا في تحديد الزي الذي يخترنه وهو الذي يعتبر، أي الزي، الملمح الأول لأسلوب الإنسان والتعبير عن شخصيته؟؟.. إذن كيف يجوز أن تفرض وزارة المرأة على النساء وصاية جديدة ظاهرها الحرص على انسيابية العمل، وباطنها التدخل في اختيار ملابسهن وأشكالها وفق ما طالعتنا به وسائل الإعلام من توصيات اللجنة الوطنية العليا للنهوض بالمرأة العراقية والتي تدعو فيها الوزارات العراقية والدوائر غير المرتبطة بوزارة الى ضرورة التزام الموظفات بعدم ارتداء بعض الملابس الضيقة والفساتين الواضحة المعالم، وعدم ارتداء الأحذية الخفيفة، وعدم ارتداء الملابس المزركشة واللماعة.

وفي الحقيقة إن كل تلك الملابس المذكورة أعلاه غير مستحب لبسها في أماكن العمل.. ماعدا الأحذية الخفيفة طبعاً.. ولكن المشكلة ليست في نوعية الملابس ولا زركشتها أو كثرة الزخارف فيها، ولكن في الخشية من تفشي ظاهرة قمع المرأة والتنكيل بها عبر قليل من هذا وكثير من ذاك حتى وصلت مظاهر التشدد إلى حرمانها من مباهج الطفولة عبر ما نلمسه من انتشار الحجاب على رؤوس البنات الصغيرات في المدارس الابتدائية، مما يؤكد النية على تحويل رأس المرأة إلى سلاح إرهابي عن طريق التوصيات المتطرفة التي تفرض من الإدارات والتي تتبنى الشكل دون المضمون، فتعمد إلى إخفاء عقل المرأة وتجاهل حقوقها واختزال كيانها الإنساني بملابس لماعة وأحذية خفيفة لم تصبح في المتناول إلا للتعبير عن وجدان مسالم ومحب للحياة والفرح يريد المتشددون محوه من الوجود ليخلقوا بدله شتى أنواع العقد والأمراض النفسية.

إن فرض زي موحد (وأنيق) على الموظفات و(الموظفين) لا يعني أمراً خاطئاً لأن الكثير من الشركات الأهلية والحكومية في العالم تعتمده من باب الحفاظ على الأناقة والخصوصية.. كما ليست المسألة هي الاعتراض على شكليات ومتعلقات أصبحت، مع الأسف، هي كل ما يشغل البال. إنما نحن مع ألا تكون المرأة تحديداً كومبارساً أو (حائط نصيص) تحت راية الحرية المنصورة.. ومع احترام حقوق المرأة وتكريم ما وصلت إليه من مكانة ومع أن تنصب جهود الجميع على الإعلاء من حقوق النساء التي ما زالت تخوض في المياه الطامية، بين الاعتراف الدولي قانونيا بهذه الحقوق، وبين التطبيق المحدود لها عمليا على أرض الواقع حيث التمييز العنصري ضدها ما زال قائماً خصوصاً في عالمنا العربي.

وقد كنا نعتقد أن فكرة تقييم وضع المرأة من خلال ملابسها وجعل تلك الملابس (روزنامة) يكتب عليها الآخرون انتصاراتهم وهزائمهم، هي فكرة تعكس عقد بعض الرجال ونوازعهم المقتضبة. أما أن تكون المرأة طرفاً لاعباً في كتابة هذا التقويم الذي يهمل عقلها وقدراتها الفكرية، فإنه لا يعني فقط إننا نخرق الدستور الذي يتغنى به قراء المقام ليل نهار، ولكنه يعني أيضاً إننا أمام (حَكم) متحيز يلغي كل أهداف المباراة التي سجلها المفكرون المتنورون منذ ابن رشد ولحد الآن، ويؤسس لاضطهاد المرأة في الفضاء العمومي بل يستجيب لنوازع الرجل الذي لا يريد أن يراجع نفسه وينظر إلى هذه المرأة نظرة جديدة تقف على مسافة مناسبة من الموضوع لا المظهر.. ومن المضمون لا الشكل. علماً بأنها الأكثر وعياً منه بقيمة الحياة وحرصاً على الحفاظ عليها وعلى مباهجها، بينما بعض الظالمين من الرجال الذين يتغنون بالديمقراطية صباح مساء هم الذين يقودون البلاد نحو الغم المطلق بالرغم من إنهم يرتدون البدلات الأنيقة والأحذية الثقيلة.

متابعة

صلاح عباس في الخميس الإبداعي:

فلسفة اللون لغة إنسانية شاملة

المدى الثقافي

ضيف ملتقى الخميس الإبداعي في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين الناقد التشكيلي صلاح عباس للحديث عن تجربته المكتظة باللوحة واللون والرمز عبر ثلاثة عقود ، قدم الجلسة الشاعر محمود النمر مشيرا إلى أهمية هذا المبدع الذي يتعامل مع أصعب الفنون رقة وإيحاء قائلا : لقد مارس فن رسم اللوحة واستدرج الفكرة أو كما يسميها الشاعر فوزي كريم (اللحظة الشعرية) حيث العلاقة السرية بين التشكيل واللحظة الشعرية، وهو حبل سري ممتد في ملامسة بؤرة الإبداع ،الشعر كما يقول الشاعر نزار قباني الرسم بالكلمات واللوحة هي قصيدة مرسومة باللون والضوء ،الناقد صلاح عباس سليل حضارات مازالت شواهدها باقية الجنائن المعلقة – مسلة حمورابي – وأسد بابل – ومازال هذا الرجل البابلي يحمل هذا الإرث الحضاري ، ويجيد حركة الفعل المؤثر فهو الآن رئيس تحرير مجلة – تشكيل – العراقية ،ومتابع للحركة التشكيلية العراقية العربية والعالمية .

بهذه الكلمات ابتدأ مقدم الجلسة الشاعر محمود النمر الترحاب بالمحتفى به .

ثم تحدث صلاح عباس عن محطاته الأولى وعن جهده النقدي في رصد الواقع التشكيلي والحراك الثقافي في حركة الفن العراقي عندما كان ينشر في الصحف والمجلات العراقية والعربية وكيف كانت الحركة في عام ١٩٩٢ حيث كان الوضع العراقي سيئا بما فيه الوضع الثقافي وقد حقق حضورا مرموقا على صعيد الفن العراقي المعاصر .

ورد الناقد صلاح حسن عن سؤال مقدم الجلسة عن فلسفة اللون وأوضح: أن اللون هو حرف ولكن أي حرف يبقى طليقا ،هو حرف وحده حين تكون محمولات الرموز عليه كثيرة ولكنه يبقى وحيدا ، الحرف يبقى إلى ما يجاوره من أحرف ، وكذلك اللون يحتاج إلى ما يختلط معه حتى يبدو ناصعا ومؤثرا ومهما ، اللون وحده شيء لا يطاق ، اللون هو الحياة والحياة تحتاج الى حسن تجاور مابين الاشياء ،وحسن التجاور ينتج صيغاً من الجمال وكذلك ينتج صيغاً من الفصول والمقولات ، اللون هو لغة إنسانية شاملة .

واسترسل في الحديث عن الإنسان والرمز قائلا : في الدراسات الحديثة تظهر أن الإنسان هو عبارة عن جهاز إرسال واستقبال بحد ذاته ،أي حركة فيها مدلولات رمزية ، الرمز في الفن التشكيلي يأخذ أبعادا مختلفة ،وأنا لا اعتقد ان هناك أشياء عفوية كل الأشياء تمتلك قصدية ثانية .

وتضمنت الجلسة شهادات من قبل الحضور ومنهم الفنان التشكيلي قاسم العزاوي ، والأديب عبد الرحمن اطيمش والناقد الموسيقي ستار الناصر والفنان كفاح عباس والفنان شكر باجلان ، وكان مسك الختام لألفريد سمعان الأمين العام لاتحاد الأدباء العراقيين الذي سلم المحتفى به لوح الإبداع لملتقى الخميس الإبداعي وباقة ورد من الشاعر عدنان الفضلي.

من البرج العاجي

فوزي كريم

على هامش ندوة القرين الثقافية ٢

كانت الندوات الاثنتا عشرة تدور حول محور "الربيع العربي": تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سوريا. وتتسع لأنظمة لم تكن استبدادية، ولكن أبناءها يتطلعون لأفق عدالة وحرية أرحب. وكان مثقفو الندوات على اتفاق بشأن العناصر التي شكلت لوحةَ هذا "الربيع العربي": ١. سلطة استبدادية تواصل انتزاع الحرية، والكرامة، ولقمة العيش من شعوبها دون رادع. ٢. احتمال نافد لدى هذه الشعوب يجعلها تنتظر اشتعال الفتيل. ٣. اندلاع الثورة الشعبية. ٤. استعدادات شرسة للسلطة الاستبدادية. ٥. ثقة الثورة بالنفس تضعف فلا تجد ضيراً من الاستعانة بقوى دولية. ٦. عون خارجي، سياسي، أو عسكري. ٧. الإطاحة بالسلطة الاستبدادية، والسعي لنظام دستوري برلماني... الخ.

هذه العناصر قد تتخذ ألواناً إقليمية متنوعة. فتونس اكتفت بدعم العالم الخارجي السياسي، لا العسكري لأن آثار المؤسس بورقيبة، الذي وُفق في بناء دولة عصرية، لم تُقتلع من الجذور بفعل انقلاب عسكري. حزبي دموي. الأمر الذي حدث مع انقلابي البعث في العراق وسوريا، أو القذافي في ليبيا. كما أن العزة الوطنية، والثقة الفتية بالنفس، قد تحول دون الاستغاثة وطلب العون من دعم خارجي، ولكن ما أن تُكشّر سلطة الاستبداد عن أنيابها الحقيقية حتى يصبح طلبُ العون مشروعاً، والدعمُ الدولي واجباً إنسانياً. أما الفوضى التي تنتاب المسعى التالي للثورة باتجاه الديمقراطية فسمة تكاد تكون واحدة لدى الجميع. دعك عن بروز التوجه الديني، وسيادته الانتخابية.

هذه العناصر لا شك تيسر الحديثَ عن مشهد "الربيع العربي". ولقد وضح هذا اليسر على مدى الندوات في أيامها الثلاثة. ولكن الشيء الذي لم يتّضح هو الغياب المطلق لحدث التغيير في العراق عن بال المتحدثين والمتحاورين. وأنا على يقين بأني لو طرحت تساؤلي هذا على أحد منهم لن أحصل إلا على هذه الإجابة التي ستبدو منطقية تماماً: ألا ترى بأن حدث التغيير في العراق قد تمّ على يد قوات أجنبية، ولم يكن وليد انتفاضة كالتي شهدناها في تونس، مصر، ليبيا..؟ ثم أن حدث التغيير هذا يبعد عن هذه الأحداث بأكثر من تسع سنوات؟

ولكن إجابة منطقية كهذه لا تبدو لي وافية، لأن المثقف حين ينجح في رسم مشهد "الحدث التاريخي" فلأنه يعتمد علاقات العناصر الأساسية في هذا المشهد، مهما كانت متفرقة ومتباعدة ومتعارضة في عين المشاهد العادي. صحيح أن حدثَ التغيير في العراق قد تمّ في مرحلة سابقة لأحداث "الربيع العربي" المتتالية، وأنه أنجز على أثر تدخل عسكري خارجي مباشر، ولكننا نستطيع بيسر أن نلملم عناصر المشهد العراقي لنرى مقدار تطابقها مع عناصر "الربيع العربي" التالية: فصدام حسين كان أعتى سلطة استبدادية دون أدنى شك. والاختناق العراقي قد بلغ منتهاه، ولا تنقصه إلا القدحة التي تشعل الفتيل. وقد حدثنا في ١٩٩١ بصورة درامية دامية: حققت للأكراد حماية وشبه استقلال عن الحكومة المركزية، ولكنها لم توفر حماية أو دعماً للبقية التي استطاع الدكتاتور سحقها بيسر. وثق الناس بقوتهم، ولكنهم حين تبيّنوا استحالة ذلك ناشدوا العالم، فلم يستجب العالم إلا بعد سنوات. سقطت السلطة الاستبدادية، وبدأ السعي، الذي يتسم بالفوضى، لبناء نظام دستوري برلماني...

عناصر التغيير الستة التي تشكل مشهد "الربيع العربي" هي في مشهد التغيير العراقي. ولكنها هنا متفرقة في المكان والزمان بصورة مربكة، في حين تبدو منتظمة ومتتالية هناك. والسبب لا غموض فيه، فالعراق ينفرد وسط عالمه العربي بغزارة التنوع الإثني، الديني والطائفي بصورة لا مثيل لها. الأمر الذي يستدعي بالضرورة علاقات بين عناصر المشهد بالغة الاضطراب والتعقيد.

أعيدُ القول بأن الاضطراب في علاقات هذه العناصر ببعضها قد يُضعف رؤية المشهد عند الإنسان العادي، ولكنه لا يجب أن يفوت بصيرة المثقف المعنيّ بإعادة تنظيم عناصر المشهد، مهما حل بها من اضطراب وبعثرة في الزمان والمكان.

"أسفل جُحر الأرنب"

أكثر من مجرد مخدرات وجريمة منظّمة

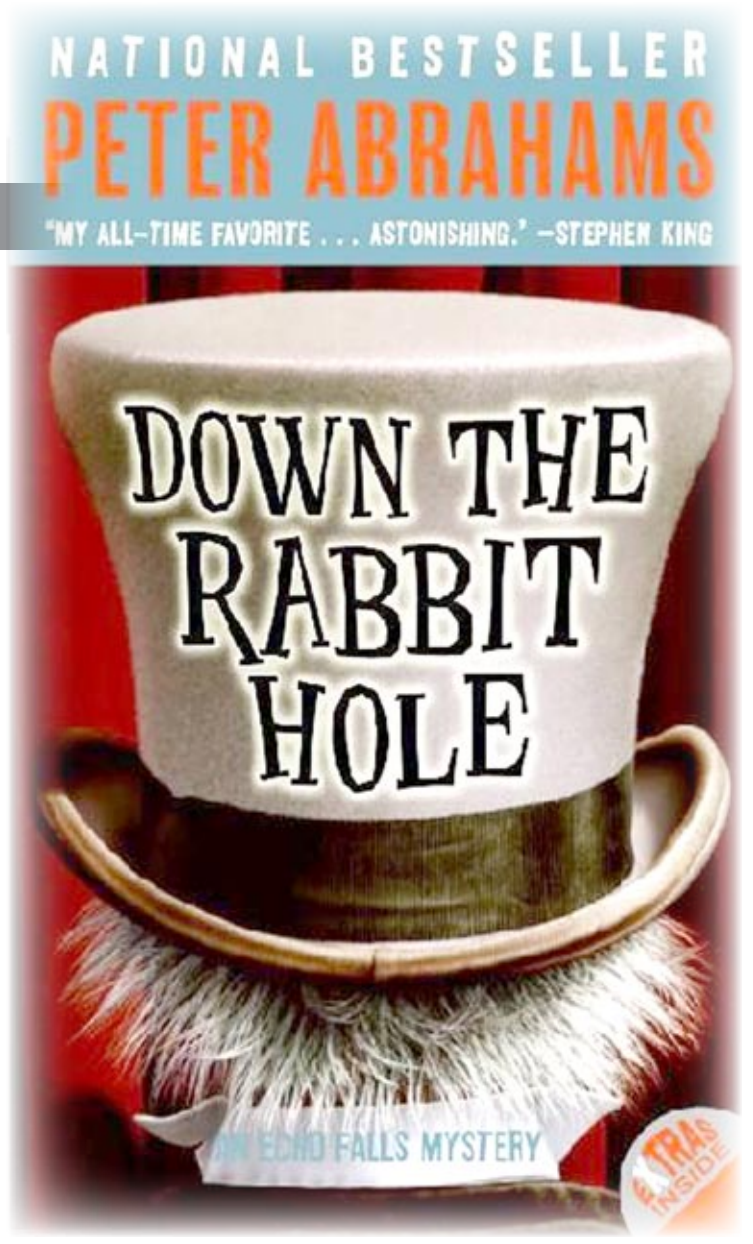

عادل العامل

يمكن اعتبار رواية الكاتب المكسيكي خوان بابلو فيلالوبوس Vilallobos، الصادرة مترجمةً إلى الانكليزية الآن، تنويعاً بارعاً بالنسبة لرواج "الأدب التخديري" narcoliterature الأميركي اللاتيني، كما يقول توم بونستد في عرضه للكتاب. فرواية (أسفل جحر الأرنب Down the Rabbit Hole) تُروى لا من وجهة نظر رجل عصابة، أو شرطي، أو عاهرة، وإنما من وجهة نظر طفل صغير. وهذا الطفل الراوي، توشتلي، المخفي في الوسط البارد والساذج لصفقات الكوكائين المكسيكية، والشد السياسي، واغتيالات الأزقة الخلفية، هو ابن زعيم مخدرات متنفذ يُعرف بـ"الملك". وكونه شاهداً على فظائع هذا الوسط وهو مع ذلك صغير جداً على إدراك همجيتها تماماً، فإن ما لا يفهمه توشتلي كلّيةً هو الذي يجعل من (أسفل جحر الأرنب) عملاً على هذه الدرجة من الإصابة بالصدمة. وفهمه المحدود - وهو طفل عمره ١٠ سنوات - ينقل مع هذا صورةً أعمق وأكثر نفاذاً للعتمة التي في قلب العصابة. غير أن لدي فيلالوبوس طموحات أكبر أيضاً. فبالإضافة للمدخل المنحرف oblique الذي يخطط له إلى عالم الشر هذا، فإنه يتطلع إلى تناول فكرة المكسيك كمجرد متلقٍّ سلبي للمكائد العالمية ماضياً وحاضراً.

وبكورية توشتلي التشقلبية قليلاً وحبه للكلمات الطويلة تجعل من قراءة هذا الكتاب تسليةً طيبة. وعلى كل حال، وكما هي الحال مع أي راوٍ مصنوع بذكاء وغير جدير بالثقة، فإننا نرىً سريعاً أن ثقته الذاتية ليست إلا أكثر قليلاً من وقفة في عالم موحش، وأن مفرداته اللغوية الراشدة محاولة منه لتعزيز خراب طفولته المروّع. وهو يعيش في إلفة سهلة مع العنف. ويمكن تحسس ذلك من كونه يعاني تشنجات شديدة في المعدة. وهو يقول "بالنسبة للطبيب، كان هناك شيءٌ ما خطأ مع وضعي السايكولوجي، وليس بطني". لكن، لا أحد لديه خارج عالم العصابات القاسي يساعده على جعل مثل هذه الأمور مفهومة. وفي الواقع، فإن العدد المدهش للحرّاس والأتباع المحيطين محاط بالصمت، كما نكتشف، وهو ما يعزز وحدته.

وهو، بوضعه جانباً بفعل مال المخدرات الذي ولد فيه، يقضي وقته في مخبأ العصابة الفخم يراقب أفلام الساموراي، ويتعلم كلمات من قاموسه ويجمع القبعات من مختلف أنحاء العالم. "إنني أحب القبعات الثلاثية الزوايا، لأنها قبعات جنود مجانين. فأن تعتمر واحدةً وتشعر كأنك تعدو بعيداً لتغزو أقرب مملكة هناك"، كما يعبر عن تعجبه من ناحية. وهو مولع أيضاً بمشاهدة أسود أبيه ونموره الأليفة وهي تأكل جثث مقتولين. وتتوقف الحبكة على تصميمه الجديد على إضافة بعض أفراس النهر الليبيرية القزمة إلى حيوانات الأقفاص؛ ولجعلها من قبيل الكذبة البيضاء، يأخذه أبوه إلى ليبيريا لينقذ من الخطر زوجاً من هذه الكائنات الموشكة على الانقراض.

وكرجال مطلوبين، يفترض أبو توشتلي أسماءً زائفة للرحلة إلى ليبيريا وحينها هناك فقط يغامران من فندقهما بالذهاب في رحلات صيد ليلية. وكل هذا يُروى بتفصيل مجتزأ يتّسم بالإقناع لأن فيلالوبوس، المؤلف، لديه إدراك مؤكد لما لا يهتم به توشتلي وما يهتم به؛ يثبت ذلك مشهد الأفراس، واعتياده على إرادة أبيه في أن يصبح ما يريد، فلا تشغله كثيراً فكرة الأسماء المصطنعة، وما مكوثه مستكناً في فندق يشاهد أباه في حالة سكر بالأمر المختلف عما يجري في البيت بأية حال.

وأحد الأمور التي لا يستطيع أن يفهمها توشتلي هو السيل المستمر من الجثث المقطوعة الرؤوس على شاشة التلفزيون، ولو أنه يعرف أنها ضحايا النزاع التخديري narco-strife الضاري. تساءل لماذا يجري قتلهم بهذه الطريقة في حين أنهم "ليسوا ملوكاً حتى؟"

وتوشتلي يحب موضوع الثورة الفرنسية، عائداً مرةً بعد أخرى إلى إعجابه بروسبير وفعالية المقصلة. ويمكن ألا يكون هذا سوى موشور prism لمخاوفه بشأن أبيه "السلطان"، لكنه يؤشر إلى أن الواحد لا يمكنه إلا أن ينقّب أعمق. فذلك يجري موازياً للموضوعات المزعجة لإخفاقات الديمقراطية والإمبريالية؛ فنحن نجد،على سبيل المثال، أن اسمَي مرشدا المجموعة في ليبيريا، المتّخذين للتستر عليهما هما: جون كينيدي ومارتن لوثر كنغ، إشارة للآمال الديمقراطية المحبَطة إن كانت هناك على الإطلاق.

والمهم في هذا هو معرفة توشتلي غير المتطورة بشكل متعب؛ إنه يبلغنا هذه الأشياء، لكنه لأنه يفتقر إلى سياق يشرحها فيه، فإن القارئ ملزَم بأن يملأ الفجوات.

وربما أراد فيلالوبوس، كما أعتقد، وهو مكسيكي يعيش في برشلونة، أن يضمن ألا يهبط القرّاء الغربيون ببطل روايته، توشتلي، إلى مجرد نتاج حزين لـ"دولة فاشلة". فتوشتلي يرمز إلى ما هو أكبر - من خلال الحثّ على الكثير جداً من الفِكَر الممكنة، والمتناقضة أحياناً، حول أين يقف فيما يتعلق بالاندفاعة الإمبريالية لتصدير الديمقراطية. فأقل ما هناك، أن المكسيك، التي كانت ثورتها عام ١٩١٠ برعاية من الولايات المتحدة، وتقع في نقطة تقاطع التواريخ والسياسات العالمية هي أكثر تعقيداً بكثير من صفقات مخدرات و جريمة منظّمة.

■ عن wordswithoutborders